

# الفصل الأول

## الحياة من منظور الوحي القرآني

### مقدمة قصيرة

يقدم لنا القرآن المجيد رؤى واسعة المدى، تغطي جميع الأدوار المتعلقة بنشوء الحياة، والمراحل التحضيرية التي سبقتها. وقد وضعت بعض هذه الرؤى علامات مميزة ذات خصائص فريدة، وهي تلك التي نريد أن نلفت أنظار القارئ إليها.

غير أنه يجب أن نضع في الاعتبار أن الفقرات التالية ليست سوى مجرد مقدمة مختصرة لمناقشة بعض الموضوعات التي سوف نتناولها بالتفصيل في الفصول الخاصة بها.

ومن الأهمية بمكان أن نسجل المبدأ الذي نتهدي به، والمذكور في الآيات التالية:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾  
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَنَّىٰ كُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٤١﴾  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٤٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا  
تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ۗ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ۖ هَلْ  
تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٤٣﴾﴾ (الملك: ٢-٤)

هذه هي الآية الأساسية التي نتحدث عن خطة الخلق العامة التي تشمل الكون بأكمله. وتتضمن هذه الآيات مبدئين أساسيين، الأول هو

الغياب الكامل لأي تناقض في كل الكون الذي خلقه الله تعالى. والثاني هو التطور التدريجي لجميع المخلوقات. وهذا المبدأ الثاني جاء شرحه ضمناً في اسم من أسماء الله الحسنى هو (الرب)، وكثيراً ما يأتي ذكر هذا الاسم في القرآن المجيد فيما يتعلق بجميع عمليات الخلق. وكلمة "رب" تعني من يعمل دوماً على تنشئة شيء من مرحلة دنيا إلى مرحلة عليا. فمثلاً.. حين يعمل إنسان على تنشئة وتربية فُلُوٍّ حتى يصير حصاناً كبيراً، مع الاهتمام بتنمية قدراته النوعية، فإن العرب يسمونه: ربُّ الفُلُوِّ، أي الشخص الذي رباه وأحسن تدريبه بشكل كامل. كذلك فإن اسم الذات العلية: "الرب"، يعني أيضاً المدبر للأمور والمزود، يعني أن الله تعالى.. الخالق.. الذي عندما يخلق شيئاً فإنه يُدبر له أمره، ويُزوده بما يحتاجه خلال جميع مراحل وجوده، ليحقق الغرض من خلقه. وهذا لا يدع مجالاً للشك في أن القرآن الحكيم يتحدث عن الخلق باعتباره أمراً يتم على مراحل متطورة، مرحلة بعد أخرى، مع تدبير جميع ما يلزم للنمو في كل مرحلة، وعلى هذا فإن القرآن يستنكر فكرة التولد الفوري. والقرآن يرفض هذه الفكرة لأنها تتعارض مع وقار الله تعالى، ولذلك فإن الآيات التالية تسأل الإنسان بأسلوب استنكاري:

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

(٧١ نوح: ١٤-١٥)

والآية التالية من سورة الانشقاق تخاطب الناس وتعددهم بأن رحلتهم مستمرة في الحركة من مرحلة إلى مرحلة فتقول:

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ (٨٤ الانشقاق: ٢٠)

هذا هو التدبير الشامل للخلق. وفي المراحل المختلفة من التطور كانت العمليات التي تُشكل الحياة وتحكمها تختلف وتتباين في نُسُقها، غير أن الاتجاه العام للتطور ظل كما هو عليه، مشيراً دائماً إلى الإنسان.

وهذا الموضوع الهام كان مَثارا للجدل بين مختلف العلماء وأيضا بين رجال الدين، وقد حاول كل منهم كشف أسرار أصل الحياة، فخرجوا بالكثير من النظريات والافتراضات، وأجرؤا تجاربَ لمحاولة تكوين الظروف المؤدية لخلق الكائنات العضوية، كما حدثت منذ مليارات من السنين، حيث بدأت الحياة في أرض خالية تماما من الحياة. وسوف نعود لمعالجة هذا الموضوع فيما بعد، أما الآن فنحن نريد أن نقتصر على عرض مختصر لما يقول به القرآن الكريم عن كيفية نشوء الحياة وتطورها على الأرض. وقد جمعنا بعض الرؤى المتعلقة بهذا الموضوع من العديد من آيات القرآن الكريم. وهذا يخدم غرضين في نفس الوقت.. أحدهما يُظهر دور القرآن الكريم في نقل أجزاء من عالم "الغيب" إلى عالم المعرفة، وأيضا مساعدة المتخصصين في هذا المجال على الانتفاع بهدي القرآن الكريم.

وحبذا أن نبدأ بذكر ملحوظة هامة، وهي أنه في العديد من المرات التي يتحدث فيها القرآن الكريم عن بعض الأشكال السابقة من الخلق، فإنه يفعل ذلك باعتبار أن تلك الأشكال مراحل في خلق الإنسان، بينما قد يكون ما خُلق بالفعل في مرحلة من تلك المراحل لا يشابه الإنسان في شيء. وفي الواقع.. إن جميع المراحل الهامة في الخلق قد ذُكرت باعتبار أنها خلق للإنسان، لأن الإنسان منذ البداية كان وحده هو الهدف النهائي للخلق، وهو الغرض الذي من أجله تمت جميع عمليات الخلق.

وعلى سبيل المثال.. عند محاولة بناء طائرة.. فإن عملية البناء تمر بعدة آلاف من المراحل. وحين يضع مصمم الطائرة خطة الصنع فإنه يعتبر أن كل مرحلة هي مرحلة في تصنيع الطائرة نفسها، باعتبار أن الطائرة هي الهدف النهائي من عملية التصنيع، حتى لو كانت تلك المراحل تختص بصنع أشياء تبدو أنها لا تتشابه مع الطائرة في شيء.. مثل الصامولة أو مسمار الرباط أو الكراسي أو الأنابيب وغيرها. صحيح أن الصواميل والمسامير تخدم أغراضا مستقلة، غير أنها تُكون جزءا من مُكوّنات الطائرة.

وعلى هذا فإن جميع مراحل التصنيع الابتدائية تُعتبر مجرد تحضير لتحقيق الهدف النهائي. إنه من الضرورة بمكان استيعاب هذا المفهوم، لأنه هنا يفترق القرآن عن علماء الأحياء الذين يؤمنون بنشوء وارتقاء عشوائي للحياة بغير تخطيط وبدون تصميم سابق. فإن هؤلاء العلماء يعتبرون أن أصل الحياة ونشوءها وارتقاءها قد حدث عشوائياً، بغير أن يكون هناك هدف أو غرض، وبدون أي تخطيط ولا تصميم، وبغير خطة تنفيذ محكمة لجميع مراحل التنفيذ.

وسوف نقدم الآن.. باختصار.. المراحل المختلفة التي مرت بها عملية خلق الإنسان، مرحلة بعد أخرى، كما ذكرها القرآن المجيد. ولكن مناقشة الموضوع بتفصيل أكبر سوف تأتي في فصول متعلقة بها إن شاء الله.

### خلق الكائنات الأولية القديمة

نبدأ بأقدم مراحل الخلق المذكورة في القرآن المجيد، وهي المرحلة التي يستخدم لها القرآن لفظاً مُعينا وهو لفظ "الجن". غير أن هذا اللفظ لا يعني أبداً المعنى السائد لدى عامة الناس، والذي قد يتبادر إلى ذهن بعض القراء.

إن المفهوم السائد لكلمة "الجن" ينطبق على الأشباح وهو مفهوم خرافي بحت. وتقول هذه الخرافات إن الجن عبارة عن خليط من صفات الإنسان وصفات الغيلان والمردة. وتزعم الخرافة أن الجن يستطيع أن يتشكل في أشكال وهيئات كثيرة حسب رغبته. وهو يميل إلى أن يسكن في أجساد النساء، كما أنه يمتلك الضعفاء من الناس. ولكن المتكهنين يستطيعون أن يسيطروا على الجن باعتبار أنهم على علم ببعض الفقرات من مختلف الكتب المقدسة التي يستطيعون بها أن يفرضوا على الجن أن يخضع لهم ويطيع أوامرهم. وحينما تتم السيطرة على الجن يمكن تسخيرهم للقيام بأعمال تفوق الخيال والتصور، مثل إحضار أي شيء

يطلبونه، فيأتون به في الحال وكأنه جاء من الهواء. ومن خلال الجن يستطيعون أن يملكوا قلب من يحبونه، أو يستمدون من الجن القوة للقضاء على أعدائهم. والقرآن.. بكل تأكيد ويقين.. حين يتحدث عن الجن في مرحلة ما قبل خلق الحياة، فإنه لا يتحدث أبدا عن هذه الخرافات التي هي من نسج الخيال الإنساني. وسوف يجد القارئ شرحا مفصلا لهذا الموضوع في الفصل المخصص للحديث عن الجن.

## دور الطين

كثيرا ما يذكر القرآن المجيد التراب الجاف، والطين الذي أصابه بلل، على أنهما ضمن المراحل المتعددة التي مرت بها عملية خلق الحياة. ففي سورة آل عمران يقول ﷻ:

﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (آل عمران: ٦٠)

ونقرأ أيضا قوله تعالى عن نفس الموضوع:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ (٦ الأنعام: ٣)

والطين أيضا مذكور في سورة الرحمن، ولكن.. في هذه المرة لم يُذكر الطين على أن به بللا، بل ذُكر بكل وضوح أنه صلصال فقال:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (٥٥ الرحمن: ١٥)

وهنا جاء وصف نوعية الطين أن له قشرة صلبة بشكل يجعل الطين يُصدر أصواتا كما يفعل الفخار. وأيضا في سورة الحجر جاء ذكر الصلصال ثلاث مرات في الآيات رقم ٢٧، ٢٩، ٣٤؛ بأن الإنسان قد خُلِقَ من صلصال جاف له رنين، تَشَكَّلَ من طين أسود مختمر.

والمشهد العام الذي يقدمه القرآن المجيد يُصوِّرُ نشوء الحياة خطوة بعد أخرى من التراب، ومن الماء، ومن الطين، وأيضا من الطين الأسود

المختمر، الذي تحول فيما بعد إلى طين جاف له طنين. وهاتان  
المرحلتان الأخيرتان تسترعيان الانتباه بشكل خاص. فلم يكن بإمكان أي  
شخص .. من قريب أو بعيد.. يعيش في الفترة التي نزل فيها القرآن أن  
يربط بين خلق الإنسان وبين الصلصال ذي الطنين من حمى مسنون.  
وسوف نقدم فيما بعد عرضاً مختصراً لما يقوله العلماء بخصوص هذا  
الموضوع، وللقارئ الحرية الكاملة في استنتاج ما يشاء فيما يختص بتوافق  
الآيات القرآنية مع نتائج البحوث المعاصرة. وهناك منظوران.. أحدهما  
يقدمه القرآن المجيد، وهو يقوم كلية على الوحي الإلهي، بينما يقوم  
المنظور الآخر على مختلف النظريات والدعاوى والتصريحات للعديد من  
العلماء الذين كرسوا حياتهم لدراسة أصل الحياة، معتمدين في دراستهم  
اعتماداً كاملاً على البحوث العلمية. وفي كل مرة تبدو فيها أن  
استنتاجات أولئك العلماء تقوم على أساس سليم ومعقول، فإن القارئ  
سوف يرى أيضاً أنها على اتفاق تام مع بيان القرآن المجيد. ويتم هذا رغم  
أن الأمر الواقع يقول لنا إنه في الوقت الذي نزل فيه القرآن.. لم يكن  
العلم قد تقدم بشكل يكفي للبحث في أسرار الحياة وأصلها ومنشئها.  
والغرض من ذكر القرآن لهذه الآيات التي تتحدث عن أصل الحياة هو  
مخاطبة الإنسان الذي سوف يأتي فيما بعد في عصور ازدهار العلوم، حتى  
يكون إيمانه بوجود الخالق الأعظم.. الخبير بكل الأسرار، والعليم بكل  
الأخبار.. مدعوماً بتلك العلوم التي توصل إليها.

### البقاء على قيد الحياة.. صُدفة أم تدبير؟

يختلف منظور القرآن الحكيم اختلافاً بيننا عن منظور أصحاب مبدأ  
الطبيعة فيما يتعلق بموضوع البقاء على قيد الحياة. فإن الصدفة حسب ما  
يقول به القرآن الحكيم لا تلعب دوراً كبيراً في استمرار بقاء الأنواع أو  
الأفراد. فليست أنواع الحياة فقط.. بل إن الأفراد أيضاً.. تحت حماية  
معينة من العديد من الأخطار المتحفزة، والتي تحيط بها دائماً، وتهدد

بالقضاء عليها، وتسبب انقراضها في كل لحظة من لحظات الحياة. وعلى هذا فإن بقاء تلك الأنواع على قيد الحياة لا يقوم على الصدفة بتاتا، بل إنه عملية منظمة ومرتبة ومخططة تخطيطا دقيقا، وتستخدم فيها التدابير اللازمة لحفظ الحياة، والتي تظل تعمل على الدوام طوال تاريخ الحياة. وفيما يلي بعض الآيات القرآنية التي اخترناها لعلاقتها بهذا الموضوع:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ  
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ ﴿١٣٠﴾ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ  
الْمُتَعَالِ ﴿١٣١﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ  
مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٣٢﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ  
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿١٣٣﴾﴾ (الرعد: ٩-١٢)

### المجانبة أو الكيرالية في الطبيعة

ينفرد القرآن المجيد بين جميع الصحف المقدسة بالإشارة إلى موضوع المجانبة فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي والديني. وإن المرء ليعجب حين يقرأ أن هناك أهمية ما تترتب على جانب اليمين أو الشمال، كما يعجب أيضا حين يعلم أن الأمر نفسه يرتبط بسلوك الرسول ﷺ وتعاليمه، حيث يقوم استعمال اليمين والشمال بدور خاص في سلوك الإنسان المسلم. فمثلا.. تُستعمل اليد اليمنى لجميع الأشياء الطيبة والأعمال النظيفة؛ فالإنسان يجب أن يأكل بيده اليمنى، ويبدأ باليمين حين يقوم بخدمة الآخرين، ولا يلمس شيئا قدرا بيده اليمنى، وهلم جرا. وينطبق العكس على اليد اليسرى. وبالمناسبة.. حين يصافح إنسان يد إنسان مسلم فإنه يكون على يقين بأنه يصافح يدا نظيفة. وحينما نتناول موضوع الكيرالية أو ظاهرة المجانبة بالمناقشة المفصلة فيما بعد فسوف تنكشف للقارئ أمور عجيبة عن ظاهرة المجانبة كما تُشاهد في الطبيعة. وليضع القارئ في

اعتباره أن هذا دليلاً قوياً على أن صاحب هذا الكتاب الجليل.. القرآن المجيد.. هو نفسه خالق هذا الكون العظيم.

إن تعبير "التحيز - partiality" يُقصد به عادة أن اختياراً ما قد تم لأن هناك أسباباً معينة أدت إلى هذا الاختيار. ولكن حين يتعلق الأمر بالله ﷻ فإن جهل المرء بالأسباب التي ينحاز الله من أجلها إلى ظاهرة التجانب لا تعني بالضرورة عدم وجود أسباب خفية لوقوع هذا الاختيار المعين منه ﷻ.

وكلما غاص العلم في أغوار عمق فهم سلسلة الأسباب والنتائج، كلما ازداد فهم السلوك الطبيعي لبعض الأطر.. الأمر الذي لا يمكن شرحه الآن.

### الانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح

يؤكد القرآن الحكيم مراراً.. وبغير أي غموض أو خفاء.. على أنه كان لا بد من القيام باختيارات معينة في كل خطوة من مراحل الخلق، وفي كل مرة كان الاختيار يتم عن تبصر وحكمة، ولم يكن أبداً اختياراً أعمى للانتخاب الطبيعي. ودائماً كانت يد القدرة لله تعالى، العليم البصير، هي التي تقوم بالانتخاب والاختيار. والقرآن الحكيم يعلن بكل قوة وبكل تأكيد:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ  
سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٨ القصص: ٦٩)

ويأتي أيضاً نفس هذا التأكيد واليقين في الآيات التالية:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾  
﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ﴾

الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٧٤﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ امْتِثَالَكُمْ  
 وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ  
 فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٧٧﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ  
 نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٧٨﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ  
 ﴿٧٩﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٨١﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ  
 الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٨٢﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ  
 الْمُنزِلُونَ ﴿٨٣﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٨٤﴾  
 أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٨٥﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ  
 الْمُنشِئُونَ ﴿٨٦﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَآمِنًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٨٧﴾

(الواقعة: ٥٨-٧٤)

وتلفت هذه الآيات الكريمة نظر الإنسان بقوة وبتأكيد إلى حقيقة أن  
 الله تعالى هو الخالق، وأنه هو وحده الذي ينتخب ويختار. فعملية  
 الانتخاب الطبيعي ليست متروكة للصدف ولا لأشياء أو لعوامل هي ذاتها  
 مخلوقة. بل في كل مرحلة وعند كل خطوة، يكون الله تعالى هو الذي  
 يقرر الاختيار، وهو وحده المنتخب الأعظم.

فليس هناك من انتخاب يتم اعتباطاً، ولا من اختيار أعمى لصفات  
 معينة.. يقع تلقائياً مع ارتقاء الحياة. إنه الله تبارك وتعالى، من خلال  
 عملية الحياة والموت، هو الذي يجعل الحياة تنشأ وتتطور بالشكل الذي  
 يريده لها.. بصفاتها، ومقاصدها، ونسقتها، وطرزها، وكيفيات بقائها  
 واستمرارها. وليس من أدنى خلل في هذا التدبير العام للكون، لأنه هو  
 سبحانه الذي يحكم بكل شيء من عليائه على عرش الجلالة، ويقضي بما  
 يراه في كل أمر من الأمور بحكمته المطلقة. وليس بمقدور أحد أن يجد في

خلقه أي تناقض أو خلل أو نقص أو عيب. وما تدل عليه الآيات المذكورة أمر جلي لا يحتاج إلى شرح أو بيان.

أما في افتراضات دارون ونظرياته عن "البقاء للأصلح" كما سوف نناقشها فيما بعد، فليس هناك أي ضمان لحدوث تفاعل ينتج على الدوام في بقاء الأصلح بغير أن يصيبه خلل. بل على العكس.. إن بعض هذه الحيوانات التي قد تستمر في البقاء في صراعها مع الحياة.. قد تنجح في تحقيق ذلك في موقف معين. أما فيما يتعلق بتطور المؤهلات العليا والصفات الأسمى للحياة، فإن مجرد بقاء حيوان ما في ظرف معين لا يُشكل بالقطع ضمانا لاستمرار حفظ وبقاء هذه المؤهلات، وذلك لأنه في تلك الافتراضات والنظريات الداروينية.. ليس هناك من مكان لمنتخب عاقل حكيم وراء عملية الانتخاب في الطبيعة، يستطيع بقدرته الدائمة أن يختار الصفات الفضلى خلال عملية الصراع بين الحياة والموت. إن المنظور القرآني للحياة يتحدث عن نظام كوني يعمل بحكمة وبغير خلل، ويخضع لسيطرة الخالق مع جميع تفاصيله الدقيقة، حتى لا يتسنى لأي نقص أو عيب أن يتسلل خلسة إلى فعاليات هذا النظام، كما يقول سبحانه:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٧﴾  
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٦٨﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا  
تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ۖ هَلْ  
تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ  
الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَاسِرٌ ﴿٧٠﴾﴾ (٦٧ الملك: ٢-٥)

**أهي مباراة في الشطرنج أم هي لعبة حظ!**

إن بعض الآيات المذكورة آنفا المتعلقة بهذا الموضوع ترسم لنا يدا

هادية لصاحب الأمر والتدبير.. الذي يخلق وينفذ كل أمر بأقصى براعة وأكمل حكمة. وكل مخلوق يبدو على لوحة الكون الواسعة وهو يتحرك من موضع لآخر لتحقيق غرضٍ خُلق من أجله، سبق تعيينه وتحديدته. هذه الرؤية للخلق لا تترك مكاناً ولا مجالاً لتطور يحدث بغير تدبير مسبق أو بدون تخطيط محكم. وفي الواقع.. إن تنظيم أمور الكون بأسره من قبل نشوء الحياة، ومن بعدها، قد جاءت الإشارة إليه في القرآن الحكيم باعتباره نظاماً متوازناً ومترابطاً.. يخلو تماماً من أي نقص أو فوضى.

وتحقيقاً لوجود النظام في كل ركن من أركان الكون وفي كل جانب من جوانبه، فإن القرآن الحكيم ينبذ تماماً.. ويرفض قطعاً.. فكرة وجود إله آخر، ينازع الله تعالى في خلقه وتدبيره وتنظيم مُلكه، الأمر الذي يترتب عليه تحول نظام الكون إلى فساد وفوضى.

لقد بحثنا حتى الآن الموضوع بصورة مبدئية مختصرة، وقد حان الوقت لبحث مفصل لجميع هذه الأمور.. الواحد منها تلو الآخر.. في فصل بعد فصل.

